

المجموعات المتحفية الخاصة في الوطن العربي

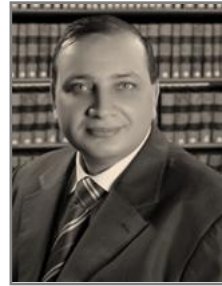
قدرت

بعض الأوساط المتخصصة في بيع وشراء المقتنيات الأثرية في أوروبا القيمة المبدئية للمجموعات المتحفية الخاصة في الوطن العربي بـ ٥٠٠ مليون دولار أمريكي ، قابلة للزيادة ، وهذا التقدير المبدئي غير دقيق ، إذ يمتلك بعض الأثرياء العرب في دول الخليج العربي مقتنيات لا تقدر بثمن في وقتنا الراهن ، ويعود هذا إلى ندرتها ، وإلى أنهم حصلوا عليها بأثمان زهيدة .

وتعود الجذور الأولى لتكوين المجموعات الخاصة إلى مصر في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين ، حيث اهتم بعض أثريائها بشراء ما يعرض من مقتنيات أثرية أو فنية في أسواق التحف بمصر ، والتي كانت رائجة حينئذ ، أو بشراء مقتنيات من الأسواق الأوروبية ، واتجه بعضهم لشراء اللوحات الفنية كمحمد محمود خليل وحرمة . وجاءت هذه الرغبة في أول الأمر متأثراً بالأثرياء الأوروبيين وبحمى اقتناء الآثار للوجاهة الاجتماعية ، ولكن بمرور الوقت نضجت هذه التجربة ، فتحول الأثرياء إلى دارسين لهذه الآثار ، وشكلوا مدارس خاصة بها ، مثل أسرة الدكتور علي باشا إبراهيم ، كان الدكتور علي إبراهيم أشهر جراح في مصر والشرق الأوسط خلال النصف الأول من القرن العشرين ، وهو من هواة الآثار ، مما قاده إلى إجراء حفائر في الفسطاط على نفقته وشراء مقتنيات وتحف عدت آنذاك من نواذر التراث الإسلامي ، أبرزها مجموعتي السجاد والخزف ، اللذين بيع منهما جزء كبير بثمن زهيد إلى متحف الفن الإسلامي بالقاهرة ، وورثت ابنته ليلي إبراهيم حب التراث عنه ، واحتفظت ببعض القطع القليلة من مجموعة والدها ، ولكن دورها الحقيقي يجيء في قسم العمارة والفنون الإسلامية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة ، حيث عملت على نشر الوعي الأثري بين طلاب الجامعة وأشرفت على عدد لا حصر له من الأبحاث وأطروحات الماجستير . وورث أولادها هذا عنها ، وهم الدكتور إسماعيل سراج الدين ، الذي يعد على نطاق واسع دولياً من أبرز خبراء التراث الإسلامي ، والدكتورة ليلي سراج الدين أستاذة الآثار بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية ، وخبيرة اليونسكو ، وهدى سراج الدين رئيس لجنة الآثار بحزب الوفد المصري . وهم جميعاً لديهم مجموعات خاصة من التحف ولكنها محدودة العدد .

أما أبرز المجموعات الخاصة في مصر حالياً ، هي مجموعة الدكتور هنري عوض ، والتي تتميز بتنوعها إذ تشمل آثار فرعونية وقبطية وإسلامية ، والإسلامية منها تشتمل على أدوات جراحة و عملات تعد من نواذر العملات الإسلامية في العالم ، وقد نشر معظم قطع مجموعته في مؤتمرات وأبحاث في الدوريات العالمية .

وكانت الأسرة المالكة في مصر لها اهتماماتها بالتحف والمقتنيات الأثرية ، وبرز منها في هذا المجال ثلاثة أمراء هم عمر طوسون الذي خصص جزءاً من ثروته لاقتناء المخطوطات ، والأمير يوسف كمال الذي عدت مجموعته الخزفية أكبر وأهم مجموعات الخزف الإسلامي ، وقد ضمت لمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة بعد ثورة تموز يوليو ١٩٥٢ ، والأمير محمد علي الذي خصص جانباً من قصره ليكون متحفاً خاصاً لمقتنياته ، وتميزت مجموعة الأمير محمد علي بتنوعها بين كافة الفنون العالمية ، وقد أممت هذه المجموعة بعد ثورة تموز يوليو ١٩٥٢ ، وتحول قصر الأمير إلى متحف مفتوح تابع للمجلس الأعلى المصري للآثار .



د. خالد عزب

مدير إدارة الإعلام ونائب مدير الخطوط
مكتبة الإسكندرية

Khaledazab66@hotmail.com

■ الاستشهاد المرجعي بالتقرير:

خالد عزب ، المجموعات المتحفية الخاصة في الوطن العربي .- دورية كان التاريخية .- العدد الحادي عشر ؛ مارس ٢٠١١ . ص ٩٠ - ٩٢ .

(www.historicalkan.co.nr)

من الشخصيات المعروفة في العالم في مجال جمع التحف والمخطوطات الإسلامية، وقد جمع في متحفه نوادر المخطوطات القرآنية التي وصلت إلى أكثر من مئة مصحف، أشهرها مصحف بخط ياقوت المستعصي، أشهر الخطاطين في الدولة العباسية، ومصحف آخر بخط عبد الله الصيرفي. وتضم مجموعته ٢٠٠ مخطوطة من نوادر التراث الإسلامي.

وفي المملكة العربية السعودية نجد أعداد لا حصر لها من المجموعات المتحفية، وهي تتركز بصفة خاصة في الرياض وجدة ومكة المكرمة، وأبرز هذه المجموعات مجموعة الأمير سلمان بن عبد العزيز، والأمير سلطان بن سلمان الذي رمم منزل مزعة العذيبات بالقرب من الرياض، وحوله إلى متحف للتراث النجدي، بدأ هذا المشروع العام ١٩٨٦، واكتمل مؤخراً، ليحمل صورة مختلفة من صور المجموعات المتحفية في الوطن العربي، والتي تهتم بحفظ كل ما يتعلق بمظاهر الحياة قبل التطورات التكنولوجية الحديثة، وتضم المجموعة أدوات للقهوة وسيوف ومقاعد ومفروشات، وكذلك أدوات إضاءة.

ولا يستطيع أي زائر للمملكة وخاصة لمدينة جدة أن يغادرها دون أن يشاهد أكبر المجموعات المتحفية الخاصة في المدينة والتي يمتلكها عبد الرؤوف حسن خليل، والذي بنى لها بناية متحفية رائعة، تتكون من عدة أقسام رئيسية هي المسجد، واجهة قلعة إسلامية، بيت التراث العربي السعودي، بيت التراث الإسلامي، بيت التراث العالمي، ومعرض التراث العام. وهذا التقسيم يعكس ثراء هذه المجموعة وتنوعها، وتقسيم هذا المتحف جاء ليضع كل مجموعة تحف في إطار معماري يتناسب مع بيئتها التي جلبت منها، ففي بيت التراث العربي السعودي، سجد حجرة الجلسة البدوية، التي ضمت بصورة طبيعية كل أدوات الجلسة البدوية القديمة، وحجرة الملابس والحرف التقليدية، وخصص جزء من هذا البيت لعرض طوابع المملكة وعملاؤها منذ إصدارها إلى اليوم، كما خصصت حجرة أخرى للمخطوطات.

أما بيت التراث الإسلامي فضم القاعة المغربية، والتي تضم القاشاني المغربي الأصلي والفيسفيساء المغربية، والأثاث المنزلي المغربي، ويضم البيت ديوانية وقاعة استقبال إسلامية. ويتميز بيت التراث العالمي بالمتحف بقسمين، الأول قسم المقتنيات الأوروبية، والثاني خاص بالمقتنيات الصينية. وهناك بالمتحف قاعة اقتصرت على معروضات بعينها كقاعة الزجاج والخزف، وقاعة السلاح، وقاعة حضارات ما قبل الإسلام، وقاعة المجوهرات، وقاعة الخزفيات. ونجح الدكتور سامي عنقاوي خبير التراث المعماري الإسلامي، في تقديم تجربة فريدة في جدة، إذ شيد منزل على الطراز الإسلامي بالحجر، أدمج فيه كافة مقتنياته المتحفية من أبواب ومقاعد ومشربيات ودواليب حائطية، وكان جلب هذه المقتنيات من الهند والمغرب وأوروبا، ومكة المكرمة، إذ رصد كل ما يهدم بها من منازل تراثية، وحاول أن يحتفظ به، ليدمج بعد ذلك في منزله. ولعل أندر مقتنيات عنقاوي أرشيف من الصور القديمة لجدة ومكة المكرمة والمدينة المنورة، تعود هذه الصور إلى القرن التاسع عشر.

وفي الإمارات العربية المتحدة تتناثر المجموعات الخاصة في دبي وأبوظبي والشارقة، ومعظمها يحتوي على نوادر من المخطوطات الإسلامية، وتحولت بعض هذه المجموعات إلى مراكز لدراسة التراث الحضاري الإسلامي، كمجموعة جمعه الماجد، التي ضمها إلى مركز

وإذا كانت المجموعات الخاصة في مصر شكلت النواة الأولى للمجموعات الخاصة، فإن ثورة تموز يوليو وما أعقبها من حركة تأميمات جعلت أثرياء مصر يعزفون عن اقتناء التحف، وجاء قانون حماية الآثار المصري لسنة ١٩٨٣، ليشدد القيود على حركة تداول التحف ويمنع الاتجار بها، وهو ما عد ضربة قاضية لنمو هذه المجموعات مرة أخرى بعد قوانين الانفتاح الاقتصادي في مصر. غير أن هناك جانباً لم يلتفت إليه أحد إلى الآن، وهو التحف الأوروبية في مصر، وتحف التراث الشعبي، وهي الآن تمثل السوق الرائجة للمقتنيات الخاصة وأبرز مجموعات التراث الشعبي في مصر حالياً، هي مجموعة الدكتور عبد الوهاب المسيري.

وأدى ازدهار دول الخليج العربي، إلى اهتمام العديد من شخصيات الأسر المالكة والأثرياء في هذه الدول بجمع التحف، وجاءت في أول الأمر في السبعينيات من باب الواجهة، غير أن نمو الوعي لدى هؤلاء بأهمية استرداد تراث المسلمين الذي هرب في القرن التاسع عشر إلى أوروبا، دافعاً إلى شراء كل ما هو معروض من مخطوطات وتحف إسلامية في صالات المزادات سواء في لندن أو باريس على وجه الخصوص، حتى تكونت لدى بعضهم مجموعات لا حصر لها إلى الآن دقيق. ومن أبرز هذه المجموعات، مجموعة الشيخ ناصر الأحمد الصباح، الذي بدأ في اقتناء التحف العام ١٩٧٥، وتمكن خلال عقد من الزمان بأسلوب علمي دقيق من اقتناء عشرين ألف تحفة، جمعت كرقعة رقص واسعة، بين تنوع الفنون الإسلامية وتوزيعها جغرافياً من الهند إلى الأندلس، وفي العام ١٩٨٣ قدمت المجموعة إلى دولة الكويت بمثابة قرض تحت رعاية وزارة الإعلام، لتكون داراً للآثار الإسلامية، ترتبط إدارياً بوزارة الإعلام عن طريق اتفاقية معقودة بين الطرفين.

وتمثل مجموعة جاسم الحميضي ثاني أكبر المجموعات المتحفية في الكويت، ويعتبر متحفه من المتاحف الفريدة والنادرة في العالم، وقد كلفته مقتنياته أكثر من ثلاثين مليون دينار كويتي، واستغرق جمعها أكثر من ثلاثين سنة، إلا أنه قد سرق جله أثناء الاحتلال العراقي للكويت، وقد حاول بعض التجار الأردنيين عرضها للبيع في صالة مزاد سوئييز وكريستيز في لندن فلم ينجحوا، ويعود ذلك إلى قيام جاسم الحميضي بتسجيل مقتنياته في السجل العالمي للتحف في السويد، وهو ما سيحول دون عرضها في أي مكان أو بيعها لأي شخص، ومن المرجح أن هذه المقتنيات لدى عدي صدام حسين، ومن المقتنيات النادرة التي كان يزرعها بها متحف جاسم كتاب "سلوان المطاع في عدوان الأتباع" لابن ظفر الصقلي، ويعتبر هذا الكتاب كنزاً من كنوز التراث العربي الإسلامي، ويعرفه المكتشفون الذين يعثرون على ما يبتغون بعد طول بحث، وقد اشتراه جاسم من أحد مزادات لندن العام ١٩٧٧، وبه نقص قدر أربع ورقات، اشتريتها في العام التالي الشيخة حصة الصباح، وأعارتها إلى جاسم الحميضي الذي ضمها للكتاب، ودفع به إلى إحدى المطابع الإيطالية، حيث طبعت منه تسع مئة وتسع وتسعين نسخة فقط، وأخذت كل نسخة رقماً دولياً مسلسلأ غير قابل للنسخ أو للسرقة، بيعت النسخة منها بأربعمئة دولار أمريكي، والمطلع عليها لا يستطيع أن يميز بين الأصل والمطبوع للذقة الفائقة في الطبع.

وتلي هذه المجموعة في الأهمية بالكويت مجموعة طارق السيد رجب، الذي كون منها متحف خاص افتتحه العام ١٩٨٠، ويعد طارق

المسماة بالسرايات والقصور والكوشك وما بالضواحي من ذلك، ويدور الفصل السابع حول ذكر متنزهات القاهرة المسماة بالجنائين والبزك والفيضان.

ولعل مؤرخي الخطط لم يأتوا تقريبا بجديد بعد المقريري، فعلي سبيل المثال جاء كتاب ابن أبي سرور البكري والمعروف بـ"قطف الأزهار في الخطط والآثار" ملخصا لخطط المقريري مع إضافات يسيرة جدت بعد المقريري. ومن هنا تبرز أهمية كتاب "ذيل المقريري" لعبد الحميد بك نافع، فهو يستكمل ما جاء به كل من المقريري وابن أبي سرور البكري، وما أورده جومار في كتابه "وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل" والذي نقله عن الفرنسية وقدم له وعلق عليه د. أيمن فؤاد سيد، وقبل أن يضع علي باشا مبارك خططه، لذا فقد جاءت كتابات المؤلف مركزة علي فترة النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي، أو ما يصطلح علي تسميتها بـ"عصر النهضة في مصر" تلك النهضة التي قادها محمد علي باشا وبلغت ذروتها في عهد الخديوي إسماعيل، وكان لها أكبر الأثر في نقل مصر من دولة تخبط في ظلمات الحكم العثماني بما فرضه عليها من انغلاق وتخلف إلي دولة تتطلع بفخر إلي الرقي والتحضّر والأخذ بأسباب التقدم الحديث. وهي النهضة التي انعكس أثرها علي مدينة القاهرة فتطورت خططها وأحيائها، وازدانت شوارعها بالعمائر الفخمة من مدارس واسبتيالات وورش وفابريقات وسرايات وحدائق، أفاض المؤلف في وصفها وذكر مآثرها. كما أن القسم الأول من الكتاب يقدم إضافة جديدة في ذكر ما احتوت عليه خزائن الكتب بالمساجد من الكتب والمجلدات. كما احتوي الكتاب علي إشارة واضحة إلي قيام محمد علي باشا بإنشاء كتبخانة يحي الحسين (قبل كتبخانة علي باشا مبارك). ولعل ما أورده المؤلف من إضافات تقودنا حتما إلي إعادة تأريخ بعض المنشآت، علي نحو قصر عابدين والذي كان الرأي السائد حوله أن بناؤه بدأ بعد أن تولى الخديوي إسماعيل حكم مصر، لكن ما كشف عنه هذا الكتاب يشير إلي أن بناؤه بدأ في عهد سعيد باشا، ومع وفاة أحمد باشا رفعت وريث العرش، وصعود إسماعيل عوضا عنه، تغيرت خطط إسماعيل ونظرت إلي هذا القصر، والذي أعاد هدمه وبناؤه مع توليه حكم مصر.

وقد اعتمد مؤلف الكتاب بشكل واضح علي كتابات المؤرخ الكبير تقي الدين أحمد بن علي المقريري وخاصة كتاب "المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار" المعروف بـ"الخطط المقريرية" وذلك عند الحديث عن آثار الأقدمين، والشيخ حسن ابن حسين المعروف بابن الطولوني الختفي صاحب كتاب النهضة السنية في أخبار الخلفاء والملوك المصرية، ومؤلفات الإمام عبد الرحمن السيوطي ومنها كتابه المعروف بـ"كوكب الرؤفة في تاريخ النيل وجزيرة الرؤفة"، ومؤلفات الإمام عبد الوهاب الشعراني، وكتاب "قطف الأزهار من الخطط والآثار" لابن أبي سرور البكري، وأحد مؤلفات المؤرخ أبي عمر الكندي عند الإشارة لمقياس النيل، كما اعتمد المؤلف علي بعض الروايات السمعية من بعض من لهم دراية بعلم التاريخ وخاصة عند نسبه القصر العيني إلي المؤرخ بدر الدين العيني، يضاف إلي ذلك ما أورده الكاتب من أ شعراء لشعراء مثل ابن الصغور وابن خطير والقاضي عبد الخالق ابن عون الأحميمي وجمال الدين علي ابن ظافر الحداد والشيخ حسن العطار والشيخ رفاعه الطهطاوي والسيد أحمد البقلي، مما يدل علي سعة علم المؤلف وحبه للشعر وتنظيمه إياه، فقد وردت في الكتاب بعض الأبيات الشعرية المنسوبة للمؤلف. وقد قام المحققين بالتحقيق فيما ورد في الكتاب من معلومات وخاصة أسماء الشخصيات وأسماء الشوارع والمنشآت القائمة أو ما اندثر منها وما ورد من معلومات أكدتها الأبحاث العلمية الحديثة وأوردها المؤلف.

وختاما، فإن العديد من المعلومات التي وردت بالكتاب إنما هي رصد لما حدث لمدينة المعز من تغيرات في الفترة التالية لقدم الحملة الفرنسية، والسابقة لوضع علي باشا لخططه المسماة "الخطط التوفيقية".

يحمل اسمه. كان لاهتمام الإماراتين بكنوز التراث الإسلامي أثر في استعادة العديد من هذه الكنوز خاصة المخطوطات التي هربت إلي الغرب من البلدان الإسلامية إبان الحقبة الاستعمارية. وكذلك الحال في البحرين وقطر.

أما في دول المغرب الإسلامي فلا يوجد إلي الآن تعريف بالمجموعات الخاصة فيها، وأن كانت بعض المجموعات المغاربية، خاصة التي يمتلكها بعض أثرياء فاس معروفة دوليًا، إذ يعود بعضها إلي القرون الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر الميلادية، وتعود ندرة بعضها إلي كونه من أرقى ما صنع في الأندلس قبل حروب الاسترداد. غير أنه في اليمن مازال الوعي ضئيلاً بأهمية ما تمتلكه بعض الأسر العريقة من تحف. وإن كان تأسيس قسمًا لدراسة الآثار في جامعة صنعاء مؤخرًا، من المرجح أن يخلق وعيًا عامًا بأهمية هذه المجموعات. ومن الملاحظ بصفة عامة أن هذه المجموعات الخاصة بدأت تتحول إلي متاحف، وهي ظاهرة ممتازة، ذلك أن متاحف العالم الكبيرة بدأت بمجموعات خاصة كانت من مقتنيات الملوك والأمراء، كمتحف اللوفر في باريس، ومتحف فيكتوريا وألبرت في لندن، والهرميتاج في سان بطرس برج، والبرادو في مدريد.

من إصدارات الدكتور خالد عزب

ذيل خطط المقريري للأديب الفاضل عبد الحميد بك نافع

تحقيق: خالد عزب، محمد السيد حمدي

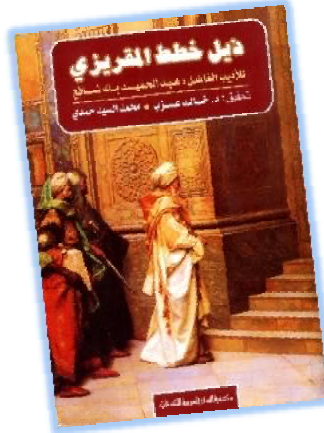
دار النشر: مكتبة الدار العربية للكتاب

سنة النشر: ٢٠٠٦

الطبعة: ١ (مقاس الكتاب: ٢٤×١٧)

عدد الصفحات: ٢٣٨

ISBN: 5- 403 - 293 - 977



يعد كتاب ذيل خطط المقريري للأديب الفاضل عبد الحميد بك نافع، تحقيق دكتور خالد عزب ومحمد السيد حمدي، والصادر عن الدار العربية للكتاب، إضافة جديدة لسلسلة كتب الخطط المصرية التي تتناول تخطيط مدينة القاهرة وتطورها عبر عصور مختلفة أو خلال فترة زمنية محددة. وقد قسم المؤلف كتابه إلي عدة فصول، يدور الفصل الأول حول القاهرة وأجناس أهلها ودياناتهم، ويدور الفصل الثاني حول ما بالقاهرة من الأثمان والشوارع والدروب والحارات والعطف، ويدور الفصل الثالث حول ما بأثمان القاهرة المعزية من الجوامع والمساجد والزوايا والتكايا والمشاهد والأضرحة والأسبلة والمكاتب، ويدور الفصل الرابع حول ذكر مدارس واسبتيالات وفابريقات القاهرة وإقليمها، ويدور الفصل الخامس حول ذكر الفابريقات المعبر عنها بالورش، ويدور الفصل السادس حول ذكر دور القاهرة العظيمة